وجوب تقديم الكفاءات الوطنية في كل مجالات الحياة

٥ رجب ١٤٣٦هـ الموافق ٢٤ إبريل ٢٠١٥م

أولاً : العناصر :-

١- الأمانة في الاختيار .

٢- اختيار الكفاءات مبدأ إسلامي ووطني .

٣- تشجيع الإسلام وتقديره للكفاءات .

٤- خطورة تقديم الولاء على الكفاءة .

٥- أهمية التدريب والتطوير ورفع الكفاءات للفرد والمجتمع.

ثانياً: الأدلـــة:-

الأدلـــة مـن القـرآن:-

١- قال تعالى: {قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ} [القصص: ٢٦].

٢- وقال تعالى: {قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ } [يوسف: ٥٥].

٣- وقال تعالى: {وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ} [الأعراف: ١٤٢].

٤- وقال تعالى: {وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ }[البقرة: ٢٤٧].

٥- وقال تعالى:{فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ }[الأنبياء: ٧٩].

٦- وقال تعالى: {وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ}[القصص: ٣٤].

٧- وقال تعالى:{وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا } [آل عمران: ١٠٣].

٨- وقال تعالى: {انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا} [الإسراء: ٢١].

الأدلـــة مـن السنة:-

١- عَنْ أَبِى ذَرٍّ (رضي الله عنه) قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلاَ تَسْتَعْمِلُنِى. قَالَ فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى مَنْكِبِي ثُمَّ قَالَ: « يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْىٌ وَنَدَامَةٌ إِلاَّ مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا » صحيح مسلم.

٢- وعن عَائِشَةَ(رضي الله عنها) قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): " إِنَّ اللهَ تَعَالَى يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ ". (مسند أبي يعلى ، وشعب الإيمان للبيهقي).

٣- وعَنْ أَبِي مُوسَى ، (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) أَنَا وَرَجُلاَنِ مِنْ قَوْمِي فَقَالَ أَحَدُ الرَّجُلَيْنِ: أَمِّرْنَا يَا رَسُولَ اللهِ. وَقَالَ الآخَرُ مِثْلَهُ. فَقَالَ: "إِنَّا لاَ نُوَلِّي هَذَا مَنْ سَأَلَهُ ، وَلاَ مَنْ حَرَصَ عَلَيْهِ" (متفق عليه).

٤- وعن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَمُرَةَ: "لاَ تَسْأَلِ الإِمَارَةَ فَإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا وَإِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إِلَيْهَا" (متفق عليه).

٥- وعَنَ عَائِشَةَ (رضي الله عنها) قالت :َقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) :" أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ ، وَأَيْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا" (متفق عليه).

٦- وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : " مَنِ اسْتَعْمَلَ رَجُلاً مِنْ عِصَابَةٍ وَفِي تِلْكَ الْعِصَابَةِ مَنْ هُوَ أَرْضَى لِلَّهِ مِنْهُ فَقَدْ خَانَ اللَّهَ وخانَ رَسُولَهُ وخانَ الْمُؤْمِنِينَ" (مستدرك الحاكم) .

٧- وعن مَعْقِلَ بْنَ يَسَارٍ الْمُزَنِيَّ (رضي الله عنه) قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: "مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ" (صحيح مسلم).

٨- وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) أَنَّهُ قَالَ: " مَا مِنْ رَجُلٍ يَلِي أَمْرَ عَشَرَةٍ فَمَا فَوْقَ ذَلِكَ إِلَّا أَتَى اللهَ مَغْلُولًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَدُهُ إِلَى عُنُقِهِ فَكَّهُ بِرُّهُ أَوْ أَوْبَقَهُ إِثْمُهُ ، أَوَّلُهَا مَلَامَةٌ وَأَوْسَطُهَا نَدَامَةٌ وَآخِرُهَا خِزْيٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ" (مسند أحمد).

٩- وعَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ لِي أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) حِينَ بَعَثَنِي إِلَى الشَّامِ : يَا يَزِيدُ ، إِنَّ لَكَ قَرَابَةً عَسَيْتَ أَنْ تُؤْثِرَهُمْ بِالْإِمَارَةِ ذَلِكَ أَكْثَرُ مَا أَخَافُ عَلَيْكَ ، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): « مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا فَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أَحَدًا مُحَابَاةً فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا حَتَّى يُدْخِلَهُ جَهَنَّمَ » (مستدرك الحاكم).

١٠- وعن ابن عمر (رضي الله عنهما) أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسلم) يقول: « كُلكم راعٍ وكلكم مسئولٌ عن رعيته، الإمام راعٍ وهو مسئول عَنْ رَعِيَّتِهِ ، والرجلُ رَاعٍ فِي أهلهِ، والمرأةُ راعيةٌ فِي بيتِ زوجِها ، والخادِمُ فِي مالِ سيدهِ » مسند أحمد .

ثالثاً: الموضـــوع:-

إن الإسلام قد اشتمل على بيان لعلاقة الإنسان بخالقه سبحانه وتعالى –العبادة–، وعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان – المعاملة –، لذا نجد أن هناك الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة التي تنظم العلاقة بين الإنسان وأخيه الإنسان وتضع لها الأسس والقواعد التي تساعد البشر على عبادة الله، وعمارة الأرض. فلا غرو إذا كان الإسلامُ نظاماً يتناول قواعد وشروط تنظم حياة الناس بأفضل الطرق.

كذلك نجد أن الشريعة الإسلامية كانت رائدة في تبني مبدأ العمل الجماعي ، لما فيه من توحيدٍ للهمم والطاقات ، وتعاون تتهاوى أمامه أصعب المهام وتتحقق من خلاله أعظم الإنجازات ، وما ذلك إلا لمساواة الناس جميعا في الحقوق والواجبات ؛ قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات: ١٣] .

ونجد أن الساعات الحاسمة في تاريخ المسلمين هي الساعات التي تتحول فيها الأمة كلها إلى (ورشة عمل)، كلٌّ في مكانه وكل له مكانته ، يشعر كل فرد أنه يشارك في البناء بل إنه ضروري لهذا البناء ، وهكذا قام المجتمع الإسلامي الأول عندما شارك المسلمون كلهم في بناء المسجد بمن فيهم قائد هذا المجتمع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وعندما استقبل الأنصار إخوانهم المهاجرين وتنازلوا عن شطر أموالهم ، ونفَّذوا هذا عملياً ولم يكتفوا بالأدبيات والكلام عن الأخوة الإسلامية ، وذلك مصداق قول الله تعالى: {وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } [المائدة:٢].

ومن الأهمية الإشارة إلى أن تَبَنِّي الحضارة الإسلامية أسلوب العمل الجماعي وبث روح الفريق في الجماعة ينبع من العقيدة الإسلامية ذاتها ، مما يزيد الدافعية لدي أفراد فريق العمل ويجعل هناك نوعا من الرقابة الذاتية النابعة من الفرد نفسه على تصرفاته و أعماله ، ولعل هذا ما يبرر ما وصلت إليه الحضارة الإسلامية من تقدم ورقي في شتي المجالات ، فقد قال الله تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا } [آل عمران: ١٠٣].

وقد جربت الكثير من مؤسسات الدولة اختيار أهل الثقة ، على حساب إقصاء أهل الكفاءة ، فكان من نتيجة هذا المعيار المعوج ، امتلاء كثير من مؤسسات الدولة بالفساد والمفسدين ، وهذا أمر لم يعد خافيًا على أحد ، في الوقت الذي تلقفت فيه كثير من الدول هذه الكفاءات لتبنى بها حضاراتها ، فقامت على أسس من العلم والصلاح والاستقامة.

وبالنظر نجد أن قائد أول دولة إسلامية نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) كان يتحرى الأقوياء الذين لهم القدرة على أداء ما نيط بهم من مهام ، فيوليهم من أعمال هذه الدولة ما يمكنهم إنجازه على أكمل وجه ، معتبرا أن تولية العاملين في الدولة أمانة ، لا يقوم بها إلا قوي قادر على أدائها ، فعَنْ أَبِى ذَرٍّ (رضي الله عنه) قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلاَ تَسْتَعْمِلُنِي؟. قَالَ : فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى منكبي ثُمَّ قَالَ: « يَا أَبَا ذَرٍّ إِنَّكَ ضَعِيفٌ وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ إِلاَّ مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا » (صحيح مسلم).

إن المجتمع يحمل من الطاقات الكبيرة ، والإبداعات العديدة، والواجب توجيه كل إنسان فيما يحسنه وفيما يبدع فيه ، وتوجيه الأفراد إلى مواقع الإبداع فهذا من الأهداف التربوية، تأمل هذا الحديث الشريف: عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ (رضي الله عنه)، أَنَّ رَسُولَ اللهِ (صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ) قَالَ: "أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ ، وَأَشَدُّهُمْ فِي دِينِ اللَّهُ عُمَرُ ، وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ ، وَأَقْضَاهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ ، وَأَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ اللهِ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ ، وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلاَلِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ ، أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينًا ، وَأَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ"(مسند أحمد) ، فنجد في هذا الحديث الشريف إعداداً للمواهب والصفات والطاقات التي اتصف بها هؤلاء الصحابة الكرام ، كلٌ حسب ما قدّر له من رزقٍ ، وحَسْبَ ما عليه من كفاءة.

وقد شهدت الدولة الإسلامية حقبا من الضعف ، ربما كان سببها عدم الأمانة في الاختيار وذلك بتقديم أهل الثقة ، وإقصاء أهل الكفاءة ، فأحدث ذلك صدعاً في جدار الأمّةِ الإسلامية

والتي ما زالت تعانى منه حتى يومنا ، وإن مصر بما مر عليها من محنٍ وأحداثٍ جسامٍ ، ينبغي على القائمين عليها تنقية مؤسساتها من العاملين بها المصنفين ضمن أهلِ الثقة والذين ولُّوا دُونَ اعتبارٍ لخبرةٍ أو كفاءةٍ ، حتى أنها تفتح المجال لاختيار من كان على شاكلتها ، وهذا ما يسفر عنه الواقع الأليم ، من انتشار الرشوة والفساد في أوصال الدولة ومؤسساتها المختلفة ، لكن كل من يقيم في هذه الدولة من أهلها أو من غيرهم ، يأمل في غدٍ تشرقُ شمسهُ على مؤسسات الدولة دون أن يكون بها مفسدٍ أو خائنٍ لأمانته ، تَمّ اختياره مجاملةً دون أن يكون له أدنى خبرة بما أسند إليه من عمل ، وإذا كان الإسلام يحض على إتقان العمل ، لما روته عَائِشَةَ (رضي الله عنها) قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): " إِنَّ اللهَ تَعَالَى يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ ". (شعب الإيمان للبيهقي) ، فإن هؤلاء المفسدين لا يتقنون إلا لغة واحدة بعيدة كل البعد عن الصلاح والإصلاح.

وكان القدوة الحسنة لنا النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم) يتعامل مع أهله وعشيرته بمعيار الكفاءة ؛ لذلك لم يستعمل منهم سوى الأكفاء في كل شيء ، حيث أَمَر ابن عمهِ على بن أبى طالب بالنوم في مكانه أثناء الهجرة ليؤدى الأمانات إلى أهلها، فهو أحق الناس بهذه المهمة ، وأكفأ وأجدر من يقوم بها ، فكان الرسول (صلى الله عليه وسلم) لا يولِّ أحداً من أقاربه أي منصبٍ إلا بمعيار الكفاءة.

ونجد أيضاً نبينا (صلى الله عليه وسلم) يبحث عن الكفاءات في كل المجالات حتى لو لم يكونوا مسلمين ؛ فقد استعان بغير المسلمين في بعض الأحيان ، حيث استأجر رجلاً كافراً اسمه (عبد الله بن أريقط) ليكون دليله في دروب الصحراء عند الهجرة النبوية إلى المدينة ؛ لما له من معرفة وخبرة متمرسة بالدروب والمسالك والطرق ، فهو لهذه المهمة كفءٌ وللقيام بها أهل .

فالرسول (صلى الله عليه وسلم) لم يعامل أهله وعشيرته من منطلق أنهم أهل الثقة ، ولم يعينهم في المناصب القيادية ، بل كانت رؤيته أن يُولِي على كل عمل من أعمال المسلمين أصلح وأكفأ من يجده لهذا العمل فهو (صلى الله عليه وسلم) القائل: "مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا فَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أَحَدًا مُحَابَاةً فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ لاَ يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلاَ عَدْلاً حَتَّى يُدْخِلَهُ جَهَنَّمَ" مسند أحمد والمستدرك للحاكم.

ولم يكن الرسول (صلى الله عليه وسلم) يعطى الولاية لأي شخص يطلبها أو يكون حريصاً عليها ، فعَنْ أَبِي مُوسَى (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ (صلى الله عليه وسلم) أَنَا

وَرَجُلاَنِ مِنْ قَوْمِي ، فَقَالَ أَحَدُ الرَّجُلَيْنِ: أَمِّرْنَا يَا رَسُولَ اللهِ ، وَقَالَ الآخَرُ مِثْلَهُ ، فَقَالَ: " إِنَّا لاَ نُوَلِّي هَذَا مَنْ سَأَلَهُ ، وَلاَ مَنْ حَرَصَ عَلَيْهِ " (متفق عليه).

ولم يقتصر الهديُ النبوي الكريم على منع الولاية والإمارة عمن يسألها فحسب ، بل جاء التوجيه الكريم والإرشاد العظيم في أمر الولاية بالنهي عن سؤالها ، أو السعي في الحصول عليها ، كما ورد عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمُرَةَ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ لي رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم): يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ سَمُرَةَ " لاَ تَسْأَلِ الإِمَارَةَ فَإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا وَإِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إِلَيْهَا " (متفق عليه).

في حين أننا نفرق بين الرسول (صلى الله عليه وسلم) في كونه بشراً وكونه نبياً يوحى إليه ، نجد أنه في كلتا الحالتين لم تأخذه في الله لومة لائم فيما يتعلق بأهله وقبيلته ؛ ولم يجامل أحداً منهم على حساب دينه أو حساب أحدٍ ، فقد نزل قول الله – تعالى– في حق عمه أبي لهب: {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ}[المسد:١] ، فقالها ولم ينكرها حين نزلت ؛ في المقابل نرى الرسول (صلى الله عليه وسلم) رؤوفاً رحيماً بأهله، لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ جَاءَهُ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) فَقَالَ: " قُلْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللهِ" (صحيح البخاري) .

ونجد أن الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) كان يختار الرجل المناسب في المكان المناسب ؛ فعندما أرادَ أنْ يرسل ولاةً إلى اليمن أرسل في البداية معاذ بن جبل ثم بعده أبا موسى الأشعري ، وأخيراً على بن أبى طالب (رضي الله عنهم) على الرغم من أنه كان يقول: " أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلِيٌّ بَابُهَا "(مستدرك الحاكم) ؛ لكنه لم يرسله باعتباره أحد أقاربه ، إنما باعتباره أحد العلماء؛ كذلك عندما أخذ الرسول (صلى الله عليه وسلم) البيعة من أهل المدينة أرسل معهم بعض أصحابه لم يكن منهم أي من أقاربه ، و لم يرسل أياً من أقاربه لأخذ البيعة من أهل المدينة.

وبعد اختيار أهل الكفاءات لابد أن نشجعهم ونشد من أزرهم حتى يبدعوا ويبذلوا قصارى جهدهم في عملهم سواء تشجيعا ماديا أو معنويا أو بهما معًا نجد أن النبي (صلى الله عليه وسلم) فعل ذلك مع أبي قتادة ، وسلمة بن الأكوع (رضي الله عنهما) في (غزوة ذي القرد) لما رجعوا قافلين إلى المدينة بعد أن أبلى سلمة بن الأكوع وأبو قتادة (رضي الله عنها) بلاءً حسناً ، ثم ناموا في الطريق. قال سلمة (رضي الله عنه) : فلما أصبحنا قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): « كَانَ خَيْرَ فُرْسَانِنَا الْيَوْمَ أَبُو قَتَادَةَ وَخَيْرَ رَجَّالَتِنَا سَلَمَةُ ». قَالَ : ثُمَّ أَعْطَانِي رَسُولُ اللَّهِ

(صلى الله عليه وسلم) سَهْمَيْنِ سَهْمُ الْفَارِسِ وَسَهْمُ الرَّاجِلِ فَجَمَعَهُمَا لِي جَمِيعًا ، ثُمَّ أَرْدَفَنِي رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) وَرَاءَهُ عَلَى الْعَضْبَاءِ رَاجِعِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ (صحيح مسلم).

تأمل هذه الحادثة .! وكم فيها من الثناء والتشجيع وتقدير الكفاءات؛ ففي قوله: «وخير رجالتنا سلمة» إعلان للتكريم أمام مجمع من الصحابة، ثم إن في إعطائه سهمين مكافأة أيضاً وتقديراً لجهوده، ثم في إرداف النبي (صلى الله عليه وسلم) له على الدابة زيادة في التكريم والتقدير له، ولك أن تتصور مقدار التكريم حين يُركبك القائد معه في مركبته الخاصة تسير بصحبته أمام الناس ـ كم سيضاعف هذا الثناء والتقدير من نشاطٍ في نفس سلمة أو أبي قتادة (رضي الله عنهما)، بل كم سيحرك في نفوس الآخرين حين يكون المدح في محله.!

إن كثيراً من القدرات ، وكثيراً من أصحاب الكفاءات يصابون بالضمور ، بل ربما يموتون وتموت مواهبهم وقدراتهم ؛ لأنهم لا يجدون من يدفعهم بكلمة ثناء ، أو يرفعهم بعبارة تشجيع؛ إننا حين نثني على أصحاب القدرات لسنا نحفظ ونضمن جهد المجتهد منهم فحسب ، بل إننا نحرك نفوساً ربما لا يحركها أسلوب آخر.

جدير بالذكر أن الإسلام يرفض المحاباة أو التستر على أهل الفساد والإفساد ، مهما كان قدرهم ومهما كانت منزلتهم ، فهذا رسولنا الكريم (صلى الله عليه وسلم) كان يرفض أن يحابى أحداً من أهله وعشيرته ، وكان يقول: " أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ ، وَأَيْمُ اللَّهِ لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا " (متفق عليه).

ولم يُعرف عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) طوال حياته التزكية أو الترقية أو تعيين أحد أقاربه في أي منصب من مناصب الدولة ، خوفاً من ضياع الأمانة، التي كان حريصًا على استقرارها عند أهلها، فهو (صلى الله عليه وسلم) القائل: "إِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ. قِيلَ كَيْفَ إِضَاعَتُهَا يَا رَسُولَ اللهِ ؟ قَالَ: إِذَا أُسْنِدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ"(صحيح البخاري) .

ولم تكن المحاباة يوما من الأيام سبيل تولى المناصب ، أو الحصول على مكاسب ، فإن أنبياء الله تعالى ورسله كان دأبهم وحرصهم الأول على تولي أهل الكفاءة ، وأصحاب المسؤولية، حيث قال الله – تعالى– مخبرًا عن نبيه يوسف (عليه السلام):{قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ }[يوسف: ٥٥] ، كذلك فهمت ابنة الرجل الصالح أن الكفاءة شرط في تولى القيادة ، وإسناد العمل للفرد وتكليفه به ، دون مجاملة أو محاباة ، قال تعالى: {قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ} [القصص: ٢٦].

وهذا نبي الله موسى (عليه السلام) حين أراد المضي للمناجاة والمغيب فيها استخلف أخاه هارون ، قال تعالى:{وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ}[الأعراف: ١٤٢] ، وأوصاه بالإصلاح في أمرهم وفي نفسه ، كذلك نهاه عن اتباع سبيل العاصين ، ولا يكن عونا للظالمين .

إن دين الإسلام قد جاء ليؤسس لقواعد صارمة وحاسمة للأمور الإدارية التي دعت إليها بعد قرون مختلف النظريات الإدارية المعاصرة ، وتعرف الإدارة في الإسلام بأنها الولاية أو الرعاية التي تأتي في نطاق المسؤولية التي تلزم وجود أمانة لدى من يتصدى لشؤون الإدارة على اختلاف أنماطها ومستوياتها ..كما وضع الإسلام جملة من الركائز لفن الإدارة ، من تقديم أهل الكفاءة ، باعتبارها أصلًا من أصول علاقات العمل.

وهناك أحاديث نبوية شريفة كثيرة تحدثت عن الإدارة ، وسبل اختيار المسئُول أو القائد، وتقديم الكفاءة وحُسْن الإدارة على غيرهما ، منها ما يشير إليه حديث ابْنِ عَبَّاسٍ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) : " مَنِ اسْتَعْمَلَ رَجُلاً مِنْ عِصَابَةٍ وَفِي تِلْكَ الْعِصَابَةِ مَنْ هُوَ أَرْضَى لِلَّهِ مِنْهُ فَقَدْ خَانَ اللَّهَ وخانَ رَسُولَهُ وخانَ الْمُؤْمِنِينَ"(مستدرك الحاكم)، وكان من دعائه (صلى الله عليه وسلم): " اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ " (صحيح مسلم).

وهذا يبين لنا خطورة تقديم الولاء أو غير الأكفاء على أصحاب الخبرة من أهل الكفاءة ومتقني الإدارة ، الذي قد يلحق ضرراً أو يأتي بشررٍ على الفرد والمجتمع.

فعن مَعْقِلَ بْنَ يَسَارٍ الْمُزَنِيَّ (رضي الله عنه) قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَقُولُ: " مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللَّهُ رَعِيَّةً يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ إِلَّا حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ " (صحيح مسلم). فكل هذه الأحاديث تشير إلى ضرورة أن يتولى الإدارة أهل الصلاح والإصلاح، وأهل المعرفة والإتقان ، وأهل الكفاءة والخبرة في مجالاتهم ، وتقديمهم على غيرهم.

فالإدارة فن أقره الإسلام ، وأوصى باختيار الرجل المناسب في المكان المناسب ، سواء على مستوى المؤسسات العامة أو المؤسسات الخاصة أو حتى مستوى الأسرة ، واختيار هذا الرجل يجب أن يعتمد على شرط الكفاءة ، وحين اختار الله – سبحانه وتعالى– لبني إسرائيل ملكاً يقاتلون وراءه في سبيل الله ، اختار طالوت عليه السلام ، وبيّن علامات صلاحيته لتلك القيادة ، بقوله تعالى:{... إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ} [البقرة: ٢٤٧]، فجعل القدرة الجسمية اللازمة والعلم الواجب علامتان

لكفاءته ودلالة على أهليته للقيادة. يقول الإمام القرطبي: قوله: {إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ} أي: اختاره وهو الحجة القاطعة، وبيَّن لهم مع ذلك تعليل اصطفاء طالوت، وهو بسطته في العلم الذي هو ملاك الإنسان، والجسم الذي هو معينه في الحرب وعدته عند اللقاء، فتضمنت بيان صفة الإمام وأحوال الإمامة ، وأنها مستحقة بالعلم والدين والقوة لا بالنسب ، لأن الله تعالى أخبر أنه اختاره عليهم لعلمه وقوته ، وإن كانوا أشرف منه نسباً ، وقيل: زيادة الجسم كانت بكثرة معاني الخير والشجاعة ، ولم يرد عظم الجسم.

ومن هنا فقد حرص الإسلام على رفع المستوى الثقافي وغرس روح المبادرة وحسن التصرف، وكذلك التركيز على التدريب المشترك للجميع الأفراد والتركيز على التدريب المستمر على العمل في ظروف متعددة وطارئة واستخدام الإمكانات المتاحة ، وذلك لحل المشاكل التي قد تواجه المؤسسات .

ونجد في نصوص الإسلام أن التدريب والتطوير يعد من الضرورات الحيوية لإعداد القوة التي أمر بها الإسلام ، كما تحتوي توجيهات الإسلام في التدريب الإتقان في التدريب لبلوغ أعلى قدر من الكفاءة ، ومن مقتضيات هذا المبدأ ألا يكتفي المسلم بالمستوى التدريبي الذي بلغه، بل عليه أن يجود فيه ويرفع مستواه بالمزيد من التمرين والمعرفة ، فقد أمر الله تعالى نبيه الكريم (صلى الله عليه وسلم) أن يقول: { رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا } [طه: ١١٤] وهذه المسئولية تقع على عاتق الفرد قبل أن تقع على قيادته.

ومن أهم مباديء التدريب الحديثة الاستمرارية ؛ لأن الاستمرار يحقق فائدتين كبيرتين هما: المحافظة على مستوى كفاءة الفرد ، ودعم هذه الكفاءة والارتفاع بها إلى مستوى أفضل. وهذا ما يفهم من قول رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وهو يحذر المسلمين من الانقطاع عن التدريب: عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ (رضي الله عنه) قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): « .. وَمَنْ تَرَكَ الرَّمْيَ بَعْدَمَا عَلِمَهُ فَقَدْ كَفَرَ الَّذِي عُلِّمَهُ » (رواه أبو داود) .

ومن المعروف أيضاً أن المنافسة من أفضل الحوافز على الإجادة والإتقان لأنها من وجهة نظر علم النفس تحرك في الإنسان دافعاً ذاتياً لكي يتفوق على غيره ؛ ولهذا كان التنافس من مباديء التدريب التي تستهدف رفع مستوى الكفاءة لدى الأفراد ، وقد كان رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) معنياً غاية العناية بهذا المبدأ ، فكان يشجع على المسابقات في كل مجالات التدريب البدنية والرياضية والفروسية والرمي بالسلاح ، بل كان (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يشترك بنفسه فيها تحفيزاً للهمم وإذكاءً لروح التنافس البريء والمشجع .

وحيث أكّدَ الإسلام على المبادئ الأساسية للتدريب ، في الماضي والحاضر ، فإن الإسلام الحنيف قد سبق غيره من الأنظمة الحضارية في تأصيل وتجديد وإقرار هذه المبادئ التدريبية الإيجابية والتي يؤدي تطبيقها إلى رفع مستوى الكفاءة النوعية .

من هنا نؤكد على اعتبار المسؤولية تكليف لا تشريف ، فالقائد للأمة خادمها وراعيها، وينبغي إمداد الدولة بالطاقات البشرية ، ومراعاة الدقة في الاختيار ، والاعتماد على أصحاب الكفاءات والثقات ، الكفيلة بمواجهة الشدائد ، والقادرة على النهوض بالأمة.